الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة

كلية أصول الدين و الشريعة و الحضارة الإسلامية

قسم العقيدة و مقارنة الأديان

تخصص : فلسفة العلوم

الرقم التسلسلي : .....

رقم التسجيل : .....

خلق الكون و نظرية الانفجار العظيم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة العلوم

إعداد الطالبة :

نبيلة عبودي

إشـــراف الدكتور :

رشيد دحـــدوح

أعضاء لجنة المناقشة :

الاسم و اللقب	الصفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
د. سعيد عليوان :	رئيسا	أستاذ تعليم عالي	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
د. رشيد دحـــدوح :	مشرفا و مقررا	أستاذ محاضر	جامعة منتوري قسنطينة
د.: صالح نعمان :	عضوا مناقشا	أستاذ تعليم عالي	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
د. عبد الوهاب فرحات :	عضوا مناقشا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

السنة الجامعية : 2010-2011

ملخص عرض البحث

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد ..

في البداية أتقدم بالشكر والتقدير إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين حملوا على عاتقهم قراءة الرسالة ومناقشتها ، كما أتقدم بعميق الامتنان والعرفان إلى أستاذي المشرف الدكتور "رشيد دحدوح" الذي لم يبخل علي بنصائحه و توجيهاته ، وسعى جاهدا في خروج هذا العمل إلى النور، كما أشكر الحاضرين على تلبيتهم للدعوة، فشكرا للجميع.

عنوان المذكرة هو: " خلق الكون ونظرية الانفجار العظيم " ، إذ لا يخفى على الدارسين والباحثين القيمة الابستيمولوجية التي اكتسبتها الدراسات المعاصرة المتعلقة بالعلوم عموما، والعلوم الكونية أو الكوسمولوجيا على وجه خاص لما تحمله من أبعاد ودلالات.

و من هنا يمكن الحديث عن ابستمولوجية الكوسمولوجيا حيث تكشف الدراسة النقدية فيها عن المشكلات المعرفية الخاصة بالعلوم الكونية من حيث مبادؤها ، فروضها ، و نتائجها ، و كذا تداخلها مع الحقول المعرفية المجاورة لها.

فالبناء المفاهيمي يستند إلى السياقات المعرفية التي يرد فيها المفهوم ، لذلك يجمع الخلق بين الجانب الديني، الفلسفي ، و العلمي في بناء معرفي واحد.

وقد اتخذت دراسة هذه الإشكالية ثلاثة محاور:

الأول: يتمثل في الدراسة الفلسفية للمشكلة والتي تضمنت موقفين متعارضين، أحدهما يقول بخلق الكون من العدم، وهو ما دافع عنه علماء الكلام و قلة من الفلاسفة أمثال : الكندي و الغزالي ، والآخر بأزليته وقدمه وهو ما دافع عنه الفلاسفة أمثال أرسطو و من تبعه من الفلاسفة المسلمين.

والثاني: يتمثل في الدراسة العلمية لإشكالية الخلق، والتي شهدت جدالا حادا بين العلماء من خلال نموذجين:

أحدهما هو النموذج المستقر للكون والقائل بقدمه، و هو ما يتأسس عليه نموذج الكون النائس و النموذج الكوانتي كذلك .

والآخر هو النموذج التطوري أو المعياري الذي تبنته نظرية الانفجار العظيم والقائل ببداية للكون.

أما المحور الثالث: فيتمثل في الدراسات الإسلامية المعاصرة والإشكالية التي اتخذت اتجاهين هي الأخرى:

الأول يفصل بين نتائج العلم النسبية والحقائق القرآنية المطلقة .

والثاني يطابق بينهما في إطار التفسير والإعجاز العلميين.

وانطلاقا مما سبق تتجلى أهمية الموضوع المتمثلة في راهنية الدراسة الابستيمولوجية لإشكالية الخلق، وما دفعنا إلى التطرق إليها أسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

فالأسباب الذاتية تتمثل في الدلالة الكوسمولوجية والابستمولوجية للموضوع، وكذا إعادة النظر في العلاقة القائمة بين العلم والدين على ضوء الدراسات الكوسمولوجية المعاصرة.

أما الأسباب الموضوعية فتتمثل في القيمة العلمية لنظرية الانفجار العظيم بالنظر إلى الأدلة التجريبية التي عززتها ، و قدرتها على الجمع بين علمي الفلك و الفيزياء الجسيمية ، و فضلا عن ذلك ارتباطها بمشكلة الخلق بأبعادها الدينية والفلسفية.

لذلك كان هدف هذه الدراسة هو الوقوف عند القراءات التي تطابق بين نتائج هذه النظرية الكوسمولوجية والحقائق القرآنية و تلك التي تفصل بينهما تماما ، وتقييمهما في إطار رؤية كونية توحيدية.

وقد تمحورت إشكالية البحث حول الوشائج الرابطة بين نظرية الانفجار العظيم و خلق الكون من خلال طرح التساؤلات التالية:

- هل يمكن اعتبار نظرية الانفجار العظيم أساسا أو على الأقل تعزيزا للاعتقاد القرآني القائل بحقيقة خلق الكون؟.
- وهل يمكن توظيفها كأساس لمعتقد أو افتراض نظرية الخلق؟.
- وهل توظيف المعطيات الكوسمولوجية لهذه النظرية من أجل الدفاع عن العقيدة يدخل في إطار التوجيه الإيديولوجي للعلم؟.
- ما هي دلالة مفهوم الخلق بالنسبة للخطابين العلمي والديني؟.
- و إلى أي مدى استطاعت نظرية الانفجار العظيم استيعاب مفهوم الخلق ؟
- ما هي الأسس المعرفية لهذه النظرية ؟ وما مدى صلابة الوقائع التجريبية التي استندت إليها؟.

وأخيرا ما هي القراءة البديلة التي تجمع بين قراءة الكون وقراءة الوحي بمنطق متعال، يستوعب العلم ويتجاوزه من خلال الرؤية الكونية التوحيدية؟.

للإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا تقسيم الرسالة إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول المعنون بـ: "الكون قبل نظرية الانفجار العظيم" الذي تطرقنا فيه إلى صورة الكون و نشأته من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : و تضمن الكون في الحضارات القديمة: عند المصريين ، عند الهنود ، عند الصينيين ، عند البابليين و عند الإغريق ، وفي العصور الوسطى تطرقنا إلى الكون عند المسيحيين و المسلمين ، و قد كانت لهذه التصورات دلالتها في المجال العلمي .

و في المبحث الثاني : عرجنا إلى الصورة العلمية التي رسمها العلماء للكون في العصر الحديث من خلال : كوبرنيك ، تيكوبراهي كبلر و غاليلي إلى الكون الميكانيكي الذي حدد له نيوتن آلياته ، كما تطرقنا إلى الكون الانهائي و فكرة الحتمية الكونية التي دافع عنها لابلاس.

أما في المبحث الثالث فتطرقنا فيه إلى الفيزياء المعاصرة ممثلة في نظريتين : إحداهما اهتمت بالعالم المتناهي في الصغر (الميكوكوزم) و هي نظرية الكوانتا من خلال تركيب الذرة و حركتها ، طبيعة الضوء ، بلانك و فكرة الكوانتا ، الميكانيك الموجية و الكوانتية. و الأخرى بالعالم الكبير (الماكروكوزم) و تتمثل في نظرية النسبية الخاصة من خلال نسبية الزمان و الفضاء ، تمدد الكتلة و تحولها إلى طاقة ، و انكماش الأطوال . و في النسبية العامة تطرقنا إلى المتصل رباعي الأبعاد ، نظرية الجاذبية ، بنية الكون و الكون المتمدد ، و أشرنا أخيرا إلى تأثير هاتين النظريتين على نظرية الانفجار العظيم.

أما في الفصل الثاني و عنوانه الصورة الجديدة للكون في نظرية الانفجار العظيم، و تطرقنا فيه إلى ثلاثة مباحث :

ففي المبحث الأول : أشرنا إلى تطور تصورات الكون من التصور الأحادي للمجرة إلى التصور القائل بتعدد المجرات وصولا إلى التوسع الكوني حيث تطرقنا إلى نفور المجرات و مفعول دوبلر.

وفي المبحث الثاني تطرقنا إلى الأسس المعرفية والشواهد التجريبية للنظرية من خلال الإطار التاريخي للنظرية و كذا الوقائع التجريبية التي استندت إليها مثل : مفارقة السماء الظلمة أو مفارقة أولبرس ، التوسع الكوني ، التوازن الكيميائي ، كما أشرنا إلى إسهام جورج غاموف في تطوير هذه النظرية ، بالإضافة إلى الأشعة الخلفية الكونية ثم التسلسل الزمني للأحداث حسب النظرية.

و عملنا على توضيح القيمة المعرفية لهذه النظرية في المبحث الثالث ، حيث تناولنا معضلات نظرية الانفجار العظيم و المتمثلة في مشكلة الأفق و الانبساط و مشكلة النعومة و نظرية التضخم الكوني التي حاولت تجاوز معضلاتها . ثم أشرنا إلى الأبعاد الفلسفية للنظرية موضوع البحث و المتمثلة في المبدأ الأنتروبي بأنواعه : الضعيف ، القوي و النهائي ، و كذا النماذج البديلة المتمثلة في الكون المستقر ، النائس ، النموذج الكوانتي.

أما في الفصل الثالث و عنوانه : خلق الكون بين الدين و العلم ، فأقمنا مقارنة لفكرة الخلق بين المفهوم الديني و المفهوم العلمي .

و أشرنا في المبحث الأول إلى القراءة العلمية للآيات الكونية ، مبينين خلق الكون كما ورد في الكتب السماوية : التوراة ، الإنجيل و القرآن الكريم . و في الفكر الإسلامي المعاصر من خلال الإشارة إلى ضرورة تجديد علم الكلام و الآيات الكونية في إطار نظرية الانفجار العظيم .

و في المبحث الثاني عملنا على نقد هذه القراءة مبينين القراءة الابستمولوجية لنظرية الانفجار العظيم ومساوئ الخلط بين العلم و الدين.

و تطرقنا في المبحث الثالث إلى الرؤية الكونية التوحيدية كقراءة بدليلة تجمع بين قراءة الواقع و قراءة الوحي مع هيمنة النص القرآني الذي يجعلها قراءة متعالية ، و هذا ما يتضح في إبستمولوجية المعرفة الكونية عند المفكر السوادني محمد أبو القاسم حاج حمد .

و تطلبت هذه الدراسة استخدام مناهج اختلفت حسب السياقات المعرفية التي وردت فيها و منها.

المنهج التاريخي : الذي رصدنا من خلاله صورة الكون و نشأته من الحضارات القديمة إلى العصور الوسطى و الحديثة ، فالعصر الراهن الذي أعلن عن ميلاد نماذج كونية اندرجت نظرية الانفجار العظيم في إطارها.

المنهج التحليلي النقدي الابستمولوجي للمبادئ و الفروض و النتائج المتعلقة بالعلوم الكونية و كذا نقد المطابقة و الفصل التام بين العلم و الدين.

المنهج المقارن و الذي حاولنا من خلاله تبيين الفروقات و التداخلات بين الخطابين العلمي والديني حول مفهوم الخلق.

ثم المنهج التركيبي : الذي ألفنا من خلاله بين قراءة الوحي و قراءة الواقع في إطار يستوعب و يتجاوز القراءات السابقة من خلال الرؤية الكونية.

و انتهت هذه الخطوات المنهجية بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي انطوت عليها هذه الدراسة.

وككل بحث أكاديمي واجهنا بعض الصعوبات أهمها:

ندرة الكتب العلمية المتخصصة في الكوسمولوجيا، وهو ما تفتقر إليه الدراسات الجادة باللغة العربية.

بالإضافة إلى صعوبة الترجمة، فمعظم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها كانت باللغات الأجنبية، التي زادتها اللغة العلمية صعوبة واستعصاء، ومع ذلك اجتهدنا بما استطعنا.

و النتيجة التركيبية لهذا البحث متعلقة بآفاق نظرية الانفجار العظيم التي قدمت قراءة علمية للكون ، أكدت على تنظيمه منذ ولادته إلى توسعه ، و هذا التنظيم يهدم الصدفة من أساسها و يفتح الباب أمام الفهم البشري بأنماطه المختلفة :

فعلميا يصطلح عليه العلماء : التصميم الذكي.

فلسفيا يطلق عليه الفلاسفة اسم : الصانع.

و دينيا يطلق عليه اسم : الله الخالق.

و تجدر الإشارة إلى أن العلم ليس مرآة عاكسة للآيات الكونية ، لأن هيمنة النص القرآني و الدراسة الإسلامية الجادة هي التي تضع العلم كمنطلق دون أن تضيف و لا توظف من حقائقه إلا ما رسخ ، لأن احتمال تغيرها يبقى واردا .

و قد أشرنا في المذكرة إلى معضلات نظرية الانفجار العظيم ، لذلك تبقى مشروعا كوسمولوجيا ينشد الاكتمال ، و عليه فالمطابقة بين الخطابين العلمي و الديني و وضعهما في مستوى معرفي واحد تدفعنا إلى التساؤل : إذا كان العلم قد كشف عن الحقائق الكونية المنصوص عليها في القرآن الكريم و قادر على الإحاطة بها فماذا ترك للإيمان ؟

فالقراءة الموضوعية هي التي تسمح باستيعاب شتات المعرفة العلمية الراهنة في إطار كلي و تتجاوزه بالنص القرآني ، و هنا يمكننا الحديث عن شمولية الخطاب الديني الذي يستوعب خصوصية الخطاب العلمي و يتجاوزه.

و يبقى جوهر النشاط المعرفي هو النموذج الإسلامي.

و شكرا ...